بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد؛ **فسأتحدث في هذا اللِّقاء فيما يتعلَّق بهذا المدخل لدراسة العقيدة عن أمرين:**

الأول: خصائص العقيدة الإسلامية المستمدَّة من كتاب الله تبارك وتعالىٰ وسنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام.

والأمر الثاني: أتحدث فيه بإذن الله عن بعض خصائص أهل السنة والجماعة؛ حملة هذه العقيدة والدعاة إليها.

فنبدأ أولًا بما يتعلَّق بخصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة عقيدةُ أهل السُّنّة والجماعة؛ فهذه العقيدة العظيمة لها خصائصُ عظيمة ومزايا عديدة تدلُّ علىٰ عظمة هذه العقيدة وتميُّزها وفضلها وعِظم شأنها ورفعة مكانتها.

فمِن هذه الخصائص التي امتازت بها العقيدة الإسلامية: أنها عقيدةٌ مستقاةٌ ومستمدة من كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فمصدرها وحي الله وتنزيله في ضوء ما جاء في كتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامُه عليه، فهذا مورد العقيدة وهذا مصدرها وهذا منبعُها.

ومن يطالع العقائد الأخرىٰ يجد لها موارد متباينة ومصادر متعدِّدة نشأ عنها اختلاف الاعتقاد والتناقُض والاضطراب وكثرة الافتراق، أمَّا من أكرمهم الله ﷻ بهذه العقيدة المستمدَّة من كتاب الله جل وعلا وسنَّةِ نبيِّه ﷺ فقد سلِموا من ذلك كلِّه، وكما قيل: من ورد المورد الأوَّل وجد بقيَّة الموارد كدِرة؛ فمن نهل من معين الكتاب والسنة وأخذ منهما الدِّين صافيًا نقيًّا يسْلمُ بإذن الله تبارك وتعالىٰ ممَّا ابتُلي به أرباب المصادر المختلفة من عقائد متباينة وآراءٍ زائفة وتصوُّراتٍ خاطئة وأفهامٍ ضائعة يسمُّونها اعتقاد.

ثانيًا من خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة: أنها عقيدةٌ موافقةٌ للفطرة السَّليمة والعقل المستقيم، فهي ليست عقيدةً مصادمةً للفِطر ومصادمةً للعُقول السليمة؛ بل هي عقيدةٌ موافقة للفطرة ويقبلها العقل السَّليم ويجد فيها بُغيته وسدَّ حاجته؛ ففي كلِّ قلبٍ حاجةٌ مُلحَّة وعطشٌ شديد لا يمكن أن يُسد إلا بالاعتقاد السَّليم، ولا يمكن أن يَرْوىٰ إلا بالاعتقاد السليم.

ومن كان علىٰ غير اعتقادٍ سليمٍ لا يجد فيما يعتقده ما تَحْصُل به بغية القلوب وتحقُّق راحتها، قد قال الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا**»، وفي «صحيح مسلم» من حديث عياض المُجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**».

فالحاصل أنَّ العقيدة الإسلامية الصَّحيحة المستمدَّة من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام هي عقيدةٌ موافِقةٌ للفطَر وموافقة للعقول السليمة. وصاحب العقل السليم عندما يعرف هذه العقيدة ويقف علىٰ أدلتها وبراهينها يجد أنها لا تصادم عقله السليم ولا تعارضه، وقد قيل لأحدهم: بما عرفت صدق الرسول ﷺ؟ قال: "ما وجدته أمَر بشيء وقال العقل: ليته لم يأمر به، ولا نهىٰ عن شيء وقال العقل: ليته لم ينهَ عنه"، بمعنىٰ: أن ما جاء به الرَّسول ﷺ وأعظمه العقيدة ليس أمرًا مصادمًا للعقول.

وهذا فيه فائدة لمن يربِّي الناس ويربي النَّشء علىٰ العقيدة أنه لا يحشر فيهم شيئًا يباين ما جُبِلُوا عليه؛ بل يدعوهم إلىٰ أمرٍ يوافق الفطر وتقبله العقول السليمة، بخلاف العقائد الباطلة؛ لكونها تُزاحم الفطرة وتصادِمُها وتعارض العقل وتباينه يحتاج أربابُها إلىٰ أساليب ملتوية لحشو تلك العقائد الزَّائفة في قلوب النَّاشئة بكذبٍ أو تلفيقٍ أو حكاياتٍ مخترعةٍ أو مناماتٍ مدَّعاةٍ أو نحو ذلك من أمورٍ يحاولون بها تنفيق وترويج تلك العقائد الباطلة الزَّائفة.

ثالثًا من خصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة: سلامتها من التناقض والاضطراب، بخلاف غيرها من العقائد؛ فإنَّها عقائد مضطربة ومتناقضة، وأهلها ليس لهم فيها قرار؛ بل هم مضطربون باضطراب عقائدهم، متناقضون بتناقض عقائدهم. أما العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة فهي سالمةٌ من ذلك كله، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، ويقول تبارك وتعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، فالعقيدة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة بعيدة عن الباطل وسالمة منه ولا يأتيها

الباطل؛ لأنها مأخوذةٌ من النَّبع الصافي والمورد العذب، أمَّا العقائد الأخرىٰ فما أكثرَ ما فيها من اضطرابٍ وتناقضٍ وتعارض واختلاف، بل هم في ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات].

رابعًا من خصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة: الوضوح وعدم الغموض؛ فهي عقيدة واضحة ومعالمها بينة وظاهرة وليس فيها اشتباه أو غموض، بخلاف عقائد المبطلين؛ فكم يكتنفها من غموض وكم يداخلها من اشتباه! أما العقيدة الإسلامية فهي واضحة في مسائلها ودلائلها؛ فمسائل العقيدة الإسلامية والتفاصيل المتعلقة بالعقيدة الإسلامية هي أمور واضحة ومعالم بيِّنة وأمور ظاهرة ليست ملتبسة أو مشتبهة أو غامضة.

وكذلك الدلائل؛ تجد الدَّليل واضح وظاهر وبيِّن، فهي عقيدة واضحة ليس فيها غموض لا في المسائل ولا في الدلائل. بينما العقائد الأخرىٰ في كثيرٍ منها غموض واشتباه وعدم وضوح، حتىٰ إنَّ بعض أرباب أصحاب تلك العقائد يصرِّحون، ومن أغرب ما في هذا الباب أن بعض المتكلِّمين ذكر مقدمات وعرة جدًّا وغامضة في دلائل إثبات وجود الله، وذكر أنها لا يمكن أن يعرفها إلا من هو راسخ في العلم، ثم بعد ذلك بقليل قال: ولا نجاة من النار إلا بمعرفتها، وهي أشياء غامضة، يقول نفسُه: لا يعرفها إلا الراسخ في العلم!!

فالعقائد التي قامت علىٰ الفلسفات وعلىٰ الآراء وعلىٰ العقليات فيها غموض، ويدرك غموضَها أصحابها، أحدهم يقول -كما نقل ذلكم شارح العقيدة الطحاوية- أحد كبار هؤلاء يقول كلامًا معناه: آوي إلىٰ فراشي في الليل وأغطي رأسي أو وجهي بالملحفة وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء يعني المتكلِّمين، وأُصبح -يعني ما ينام الليل علىٰ فراشه يتقلَّب- يقول: وأصبح ولم أفهم شيئا. بينما العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة واضحة تمامًا وضوح الشمس، ظاهرة بيِّنة ليس فيها اشتباه ولا التباس.

الأمر الخامس من خصائص هذه العقيدة العظيمة المباركة: أنها تؤلِّف بين القلوب المتناثرة وتجمع بين النُّفوس المتعادية. وشأن العقيدة في هذا الباب عجبٌ؛ بل ليس هناك ما يمكن أن يؤلِّف بين القلوب حقًّا ويجمع بين النفوس ويُزيل العداوات مثل الاعتقاد الصحيح؛ بل من عظيم أمر الاعتقاد الصحيح في هذا الباب: أنَّه يجمع بين الجنس المختلف، فكيف بأهل الجنس الواحد؟ فالملائكة خُلقوا من نور، وبنو آدم خُلِقوا من طين، جنسٌ مختلف، لكن العقيدة ربطت بين هذين الجِنسين بين الملائكة وصالحي البشر. وتأمَّل هذه الرَّابطة العظيمة الوثيقة بين هذين الجنسين في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ

حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ **هذه العقيدة** ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ **[غافر]، دعاء واستغفار وسؤال الله تبارك وتعالىٰ للمؤمنين الجنَّة ومُداومة علىٰ ذلك، رابطة عجيبة وعظيمة مع أنَّ جنسهم آخر غير جنس البشر!!**

فالعقيدة هي التي تؤلِّف بين القلوب، تجمع بين المفترق وتؤلف بين المختلف، ﴿[وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ **[الأنفال:٦٣]، ألَّف بينهم** ﷻ **بهذا الإيمان وهذا الاعتقاد الذي اجتمعت قلوب أهل الإيمان عليه، ولهذا قال جل شأنه:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ **[الحجرات:١٠] إخوة بالإيمان، إخوة في الله، إخوة في الاعتقاد الصحيح، متحابين في الله متزاورين في الله متعاونين علىٰ طاعة الله** ﷻ.

أما الصِّلات التي توجد بين البشر في غير الاعتقاد الصحيح والروابط التي تنعقد بينهم في غير الاعتقاد الصحيح فهي كلُّها منفصمة ومنقطعة، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ **[البقرة]؛ أي: أسباب المودَّة، وقال الله تعالىٰ:** ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ **[الزخرف]، فهذه من الخصائص العظيمة المباركة للعقيدة الإسلامية المستمدَّة من كتاب الله وسنة نبيِّه** ﷺ.

سادسًا من خصائص العقيدة: أنَّها تُكسِب قلوب أصحابها الرَّاحة والطُّمأنينة، ولا يمكن للقلب أن يطمئن وأن يرتاح وأن يسعد إلا بهذه العقيدة، وبدونها فأمْرُه إلىٰ الشَّقاء وحياته إلىٰ النَّكَد، قد قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ **[النحل]، فالحياة الطيِّبة إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح، وقال اللهُ تعالىٰ:** ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ **[طه]، ونفي الضَّلال فيه ثبوت الهداية، ونفي الشَّقاء فيه ثبوت السَّعادة، فباتباع هُدىٰ الله** ﷻ **تكون الهداية وتكون السَّعادة. وقال الله تعالىٰ:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ **[طه]؛ أي: إنما أنزلناه عليك لتسعد. وقد ذُكِر في بعض كتب التَّفسير أن المشركين قالوا: إنَّ هذا القرآن أنزل علىٰ محمد ليشقىٰ به هو وأصحابُه، فأنزل الله:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾.

فالسعادة الحقيقية والراحة والطمأنينة للقلب لا تكون إلا بالعقيدة الصحيحة، ولهذا يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾ **[الرعد]. وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **في تقريرٍ له بديعٍ في هذا**

الباب، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ كلامًا معناه: القلب إنما خُلق لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا خرَج عن الأمر الذي خُلق له حصل له اضطراب، فحاجةُ القلب إلىٰ التَّوحيد وحاجة القلب إلىٰ ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كحاجة السَّمكة إلىٰ الماء؛ فالسَّمكة إذا حُبست عن الماء ماتت، والقلبُ بلا توحيد يموت.

ومن خصائص هذه العقيدة: أنها عقيدةٌ وسط وعقيدةٌ قوَام، ليس فيها غلوٌّ ولا جفاء، وليس فيها إفراطٌ ولا تفريط، بخلاف العقائد الأخرىٰ؛ فتجد إمَّا عقيدةٌ تنحىٰ إلىٰ جانب الغلوّ، أو عقيدة تنحىٰ إلىٰ جانب الجفاء والتَّقصير. بينما العقيدة الصَّحيحة قوامٌ بين ذلك، وما من أمرٍ من أمور الدِّين عقيدة كان أو شريعة إلا والناس فيه ثلاثة أقسام: غلاةٌ، وجفاةٌ، وأهل توسطٍ واعتدال.

وأهل التوسُّط والاعتدال هم الذين يلزمون الحق والهدىٰ الذي جاء في كتاب الله جل شأنه وفي سنة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ونكتفي بهذا القدر من الخصائص لهذه العقيدة الإسلامية، وما ذكرتُه إنما هو علىٰ سبيل الإشارة والمثال، وليس علىٰ سبيل الجمع والحصر، لننتقل بعد ذلكم إلىٰ ذكر خصائص أهل السنة والجماعة، خصائص حملة هذه العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة والدعاة لها علىٰ نورٍ وعلىٰ بصيرة، فما هي خصائصهم؟

لأهل السنة والجماعة خصائص كثيرة، من هذه الخصائص:

أولًا: أن أهل السنة ليس لهم شيء ينتسبون إليه من أشخاصٍ أو أعمالٍ أو نحو ذلكم إلا السنة، والمراد بالسنة التي ينتسبون إليها: أي الإسلام الصافي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بعيدًا عن مغالطات المغالطين، ومزايدات من يزيدون في الدين ويُدخلون فيه ما ليس منه، أو يجفون فينتقِصون منه ما هو منه وداخلٌ فيه. فالسنة المراد بها: الدين الصافي الذي جاء به النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

فأهل السنة ليس لهم اسم إلا السنة، ولهذا لمَّا سئل الامام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من هُم أهل السنة؟ قال: من ليس لهم اسمٌ إلا السُّنّة، ليس لهم أسماء، قال: كالجهمي، والرافضي، والقدري، وذكر أسماء. ومن سواهم إما أن ينتسبوا إلىٰ شخصٍ ابتدع لهم بدعة فتلقَّوها عنه وانتسبوا إليه فيما ابتدع لهم من الدِّين، أو ينتسبون إلىٰ البدعة نفسها؛ كالقدرية لبدعتهم في القدر، والرافضة في الرفض، والخوارج في الخروج، وهكذا.

أما أهل السنة فلا ينتسبون إلا إلىٰ السنة، والمراد بالسنة: الإسلام الخالص الصَّافي، والله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، والمراد بانتِسابهم للسنة: هو الانتساب الحقيقي، لا الانتساب بالدَّعوىٰ، لأنَّ من ينتسبون إلىٰ السنة بالدعوىٰ كثُر، وكما قيل: كلًّا يدَّعي وصلًا لليلىٰ، والدعاوىٰ إذا لم يُقَم عليها بينات فأهلها أدعياء. فمن خصائص أهل السنة العظيمة: أنهم ليس لهم أسماء ينتسبون إليها إلا السنة وما كان في هذا المحيط مثل: «أهل الأثر»، «أهل الحديث»، «أهل الاتباع»، «أهل السنة والجماعة» ونحو ذلكم من الأسماء.

ثانيًا من خصائص أهل السنة: أنَّ قولهم في الاعتقاد قولٌ واحد، سواءً اختلف اللسان أو اختلف المكان أو تباعد الزمان، قولهم واحد في الاعتقاد؛ فتجدهم وإن اختلفت ألسنتهم أو تباعدت أزمانهم أو تباينت أماكنهم علىٰ قولٍ واحد، فإذا قرأت كتابًا في العقيدة أُلف مثلًا في القرن الثالث، وكتابًا في العقيدة أُلِّف في القرن العاشر مثلًا لأهل السنة تجد القول واحد، والسبب في هذا الاتفاق: أن المورد واحد وهو كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. أما من اختلفت مواردهم -حتىٰ وإن كان المورد الذي يأخذون عنه واحدًا- فتجدهم متعارضين. علىٰ سبيل المثال: من يأخذون عقائدهم من العقل مثلًا هل يكونون علىٰ عقيدة واحدة؟ أبدا، لأن العقول متفاوتة. وإذا قيل: إن الاعتقاد يؤخذ من العقل، يقال: عقل من؟! العقول متباينة ومتضاربة ومتعارضة. ولهذا قال بعض السلف: «لو كانت الأهواء هوًىٰ واحدًا لقيل: إنه الحق، لكنها أهواء».

الشاهد: أن من خصائص أهل السنة والجماعة أنَّ قولهم واحد، عقيدتهم واحدة، كلمتهم في الاعتقاد واحدة، المتقدِّم منهم والمتأخر، وإن اختلف اللسان وإن اختلف المكان، السبب في ذلك أن منبعهم واحد.

ثالثًا: من خصائصهم: اقتصارهم في الاحتجاج والاستدلال والتلقِّي علىٰ كتاب الله وسنة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، وبهذا الاقتصار علىٰ الكتاب والسُّنّة سلِموا من الضلال، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا؛ كِتَابَ اللهِ وسُنَّتِي**»، وكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب الناس يوم الجمعة يقول: «**أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، ولما أشار عليه الصلاة والسلام إلىٰ وجود الافتراق والاختلاف في الأمة نبَّه إلىٰ أن السلامة منه لا تكون الا بلزوم السنة، كما في حديث العرباض بن سارية أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِىٰ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**

وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ». ولهذا أهل السنة دائمًا وأبدًا يدورون مع الكتاب والسنة فيما يُثبِتون وفيما ينفون.

كما قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (ندور مع السنة حيث دارت) أي: نفيًا وإثباتًا (فما ثبت في الكتاب والسنة أثبتناه، وما نُفي فيهما نفيناه).

ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (نصِف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث).

ويقول الإمام الزهري؛ محمد بن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (من الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم).

رابعًا من خصائص أهل السنة والجماعة: الحرص علىٰ الاتباع والائتلاف، والبعد عن الابتداع والافتراق؛ ولهذا كان من أماراتهم الواضحة؛ بل ومن المُلازم لهم تلقيبهم بهذا اللقب الشَّريف «أهل السنة والجماعة»؛ أهل السّنّة: لحرصهم علىٰ اتباع السنة ولزومها والتمسُّك بها. والجماعة: لكونهم حريصين أشد الحرص علىٰ الائتلاف والاجتماع علىٰ كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ.

فهذا من خصائصهم؛ أنَّهم حريصون أشدّ الحِرْص علىٰ الاتِّباع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ولهذا سُمُّوا أهل سنة، وحريصون علىٰ لزوم الجماعة والبعد عن الفرقة ولهذا سُمُّوا أيضًا أهل الجماعة. بخلاف من سواهم فهم أهل بدعةٍ وفُرقة.

وينبغي أن يُعلم في هذا الباب: أنَّ السُّنّة تجمع والبدعة تفرِّق، لا يمكن أن يكون الإنسان صاحب بدعة ويتحقق علىٰ يديه اجتماع؛ لأن البدعة لا تجمع، الذي تجمع هي السنة. ولهذا قال بعض العلماء المتقدِّمين في شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**وَلَا تَبَاغَضُوا**»: في قوله عليه الصلاة والسلام «لا تباغضوا» نهيٌ عن البدعة، لأن البدعة توجِد البغضة وتوجِد الفرقة، بينما السنة هي التي تجمع. فمن خصائصهم: أنهم أهل سنةٍ وجماعة، أهل اتِّباعٍ للسنة ولزومٍ للجماعة.

الأمر الخامس من خصائص أهل السنة: أنهم أهل وسطية واعتدال، وكما أن الإسلام وسط في الملل التي قبله، فأهل السنة وسط في هذه الأمة بين الفرق المنتسبة للإسلام، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة:١٤٣]، وخيار الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها. فأهل السنة أهل اعتدال وتوسُّط، ليس عندهم غلو ولا جفاء، وليس

عندهم إفراط ولا تفريط، وإذا تتبَّع المنصِف أقوالهم في العقيدة في جميع أبوابها يجد أنَّ أقوالهم وسط بين ضلالتين، وهدًى بين باطلين، وحسنة بين سيِّئتين.

الأمر السَّادس من خصائص أهل السنة والجماعة: البُعد عن المِراء والخصومة في الدِّين؛ والمِراء والخصومة مذموم، قد قال الله ﷻ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف]، وإذا أوتي الإنسان الجدل وابتُلي به حُرم العمل، ولهذا كان أرباب الكلام الباطل من أبعد الناس عن لزوم الأعمال الشَّرعية –فرضًا كانت أو نفلًا– وأضعفهم قيامًا بها.

والدِّين لا يجوز أن يُجعل عُرضةً للخصومات وغرضًا للخصومات؛ بمعنىٰ أن يجتمع الشَّخصين أو أكثر علىٰ خصومةٍ في الدِّين وينظرون من الغالب ومن الذي سيغلب، قد قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (من جعل دينه عرضةً للخصومات أكثر التنقل)، وقال السلف رحمهم الله: إياكم والخصومة في الدين، فالذي يجعل دينه عرضة للخصومات لا يقر علىٰ عقيدة واحدة، تجده بسبب الخصومات يتنقَّل، يوم في عقيدة واليوم الآخر في عقيدة أخرىٰ بسبب الخُصومة والجدل.

ولهذا أحد السَّلف جاءه رجل ليناظره قال له: (أمَّا أنا فعلىٰ بينة من ديني –يعني ديني واضح عندي– وأمَّا أنت فرجلٌ شاكّ فابحث عن رجل شاكٍّ مثلك فناظره)، أنا علىٰ بينة الدِّين واضح عندي، وهذا يقوله مثل هذا العالِم لزجر هؤلاء عن باطلهم ونهيهم عنه وبيان فساده وبطلانه.

ولهذا أيضًا جاء في بعض الآثار أنَّ رجلًا من أهل البدع أتىٰ إلىٰ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وقال: "أريد أن أتناظر معك"، فقال له الإمام مالك: فإن غلبتك؟! قال: أتَّبعك، قال: فإن غلبتني؟!» قال: تتبعني، قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن جاء شخص ثالث وغلبنا؟، قال: نتبعه، قال: يا هذا الدين ليس لمن غلب، ما هي المسألة مثل ما يقول العوام: عَرْض عضلات والذي يغلب هو صاحب الحق، قد يكون صاحب الحق ليس عنده حجة والآخر عنده لحنٌ بحجته، فقد يُسكته وقد يقطعه في باب الاستدلال أو نحو ذلك، فالدين ليس لمن غلب، الدين قال الله قال رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا يجب أن ينتهي العوام وطلاب العلم الصِّغار عن مناظرة ومناقشة أصحاب البدع وأصحاب الضَّلالات، لأنهم يلبِسون عليهم دِينهم ويشبِّهون عليهم في عقائدهم ويُدخلون عليهم في قلوبهم أشياء ربَّما تدخل ولا تخرج. فمن خصائص أهل السُّنّة: بُعدهم عن المِراء والخصومة في الدِّين.

الأمر السابع من خصائص أهل السنة: سلامة قُلوبهم وسلامة ألسنتهم؛ فقلوبهم سالمة من الغِل

والحِقد والضَّغائن، وعامرة بمحبَّة الخير والنصح لعباد الله ورحمة الخلق والرِّفق بهم، وألسنتهم أيضا سليمة ليس فيها طعن أو لعنٌ أو سباب أو شتائم أو نحو ذلك، قد قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، فذكر جلَّ شأنه في هذه الآية سلامة القلب وسلامة اللِّسان؛ سلامة القلب في قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وسلامة اللِّسان في قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

ثامنًا من خصائص أهل السُّنّة والجماعة: كرم أخلاقهم وحسن صفاتهم وجمال آدابهم وحُسن سمتهم وهديهم، متَّبعين في ذلك هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، والخُلُق الفاضل مرتبط بالاعتقاد السليم، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، ولهذا الارتباط بين العقيدة والخُلُق؛ فإن شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ختم كتابه «العقيدة الواسطية» بذكر الآداب الفاضلة والأخلاق الجميلة الرَّفيعة العالية التي هي حِلية أهل الاعتقاد الصَّحيح وزِينة أهل الإيمان القويم المُستمد من كتاب الله وسنَّة رسوله صلوات الله وسلامُه عليه.

تاسعًا من خصائص أهل السنة والجماعة: الاشتغال بجميع أبواب الدِّين دعوةً ونصحًا وعنايةً بها، بخلاف غيرهم! فتجد فيهم من يعتني مثلًا بالفضائل والآداب ويُهمل العقائد ويفرِّط فيها، وتجد من يشتغل أيضًا بجوانب أخرىٰ ويُهمل بالمقابل جانبًا آخر؛ بل ولا يكتفي بإهماله بل ربَّما صدَّ عنه وحذَّر منه ونهىٰ عن الاشتغال به، فتجد مثلًا من يشتغل مثلًا في جانب الفضائل والآداب ونحو ذلك من ينهىٰ عن العلم وعن مجالسه ويرىٰ أن العلم معوقًا، وتجد أيضا من اشتغل بأمور أخرىٰ ربما صد عن العقيدة وعن مذاكرتها ومدارستها والجلوس لتعلُّمها وحذَّر من ذلك، إلىٰ غير ذلكم من الأمور التي توجد عند من يخالف نَهج أهل السنة والجماعة. بينما أهل السنة مُعتنون بأبواب الدِّين جميعها نصحًا ودعوةً وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا وتوجيهًا، فهذا أيضا من الأمور التي هي من خصائص أهل السنة والجماعة.

وخصائص أهل السنة والجماعة كثيرة وعديدة، وما ذكرتُه هنا إنَّما هو علىٰ سبيل الإشارة والمثال، ليس علىٰ سبيل الحصر. ونكتفي بهذا القدر، والله أعلم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.